Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 49, No. 5, Supplement 1, 2022

Deanship of Scientific Research

Al_Muhibi Methodology and Interests through the Book, (Khulasat Al'athar Fi A'aeyan Alkarn AL-Hadi Ashar)

***Ali Almadarmeh* ***

Al al-Bayt University, Mafraq, Jordan

Received: 3/3/2020
Revised: 3/9/2020
Accepted: 15/8/2021
Published: 30/11/2022

* *Corresponding author:*
aliojan21@gmail.com

Citation: Almadarmeh, A. . . Al_Muhibi Methodology and Interests through the Book, (Khulasat Al'athar Fi A'aeyan Alkarn AL-Hadi Ashar). *Dirasat: Human and Social Sciences*, *49*(5), 419–430. https://doi.org/10.35516/hum.v49i5.3491

© 2022 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

This study tackles the historical methodology of Al_Muhibi in his book (Kulaste AL'ather), It also aims at shedding light on his very distinguished methodology through the book Kulaste AL'ather, and his book is one of the most important translation books of that period. The results indicated that Al_Muhibi followed in his translation his own style and he was very careful in the selection of words to maintain the meaning, and he chose rhetorical methods, and he was out of the content of the comprehensiveness of the translations, to confine them in a period of time which is chronologically near.

Keywords: Al- Mohebi; elders, sources of culture, khulasat al'athar, methodology.

منهج المحبي واهتمامه من خلال كتاب (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر)

***علي المدارمة* ***

جامعة آل البيت، المفرق، الأردن

ملخّص

تتناول هذه الدراسة منهجية المحبي (ت1111هـ/1669م) التاريخية في كتاب((خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) من خلال التعريف به، وتسليط الضوء على منهجيته المميزة التي اتبعها في كتابه، ويعدُّ الكتاب من كتب التراجم المهمة في تلك الفترة. وأشارت النتائج أن المحبي نهج في ترجماته للأعيان أسلوبه الخاص به، وكان دقيقًا جدًا في انتقاء الألفاظ ليحافظ على المعنى، واختار المحبي الأساليب البلاغية، ليخرج عن مضمون الشمولية الواسعة للتراجم، إلى حصرها في فترة محدودة من الزمن وهي القريبة منهم زمنيًا.

الكلمات الدالة: المحبي، شيوخه، مصادر ثقافته، خلاصة الأثر، منهجه.

المقدمة:

تعدُّ الدراسات التي تهتم بدراسة مناهج المؤرخين، ذات أهمية بالغة في فهم الجوانب الحضارية للأمة، وتجاربها عبر التاريخ، وتعبر المناهج الكتابية عن مدى التطور التي وصل إليه الانتاج الفكري في فترة ما، ويعكس هذا التطور الصورة الحية لواقع الحال في فهم علم التاريخ.

تسلط الدراسة الضوء على كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، وهو من كتب التراجم الغنية بالمعلومات التاريخية في منطقة بلاد الشام في تلك الفترة، وجاء بعد الاطلاع الواسع والدراسة المعمقة، ويعد الكتاب من بين الكتب التاريخية التي تجمع بين الحوادث والتراجم المعاصرة لمادته. وهو للمؤلف محمد بن فضل الله المحبي (1111هـ/1669م) عالم من علماء عصره، أتسعت معرفته، وأسهم في التاريخ، والأدب، والشعر، والحديث، والفقه، والتفسير وغيرها من العلوم، مما حدا به أن يدخل في نطاق المؤرخين، والأدباء، والشعر، والشعراء.

ينتمي المحبي إلى أسرة دمشقية اهتمت بالعلم والأدب والفقه والشعر، فكانت البنية الموروثة متينة ساعدته في الانطلاق منها؛ ومن تلك الأسرة كان والده فضل الله عالمًا يجيد اللغة العربية والتركية، وله حسن المعرفة بفنون الأدب. وجَّده محب الله يعدُّ من كبار علماء بلاد الشام تولى قضاء دمشق، وأوكلت له نيابة الشام بأمر سلطاني، ووالد محب الله هو محب الدين كان مؤرخًا، ووالد محب الدين كان كاتبًا.

أهمية الدراسة:

القيمة التاريخية لكتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي، والاسباب التي دعته إلى تأليف الكتاب. ولا تقل أهمية عن قيمة الكتاب، قيمة مؤلفنا محمد بن فضل الله المحبي، الذي اجتمع لديه الشيوخ الذين يشار إليهم بالبنان، وقصده تلاميذه من مختلف المناطق ليرتووا من علمه، ورحل من أجل العلم، وله الإنتاج الوفير من المؤلفات، وكان التركيز في هذا البحث على اهتماماته في ترجماته وأسلوبه الخاص الذي اتبعه المحبي

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى توظيف كتب التراجم في الدراسات التاريخية، ويعد كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، من كتب التراجم ذات القيمة التاريخية في المرحلة الانتقالية من العهد المملوكي إلى العصر العثماني، ويعدُّ الكتاب من المصادر الغزيرة في الدراسات التاريخية.

صعوبات الدراسة:

عدم توفر الدراسات الحديثة بالنسبة لمؤلف الكتاب المحبي وكتاب خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، والموضوع يحتاج إلى البحث العميق في أربعة أجزاء الكتاب، والمصادر الأخرى.

منهجية الدراسة:

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على اتباع المنهج التاريخي الوصفي التقليدي، وتعتمد الدراسة المصدر الرئيسي وهو كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، والمصادر القريبة والمعاصرة، وأعتمدت المنهج التاريخي واستنطاق النص واستقراء ما بين السطور وتحليلها لاستخلاص النتائج، والتعريف بالأماكن والأعلام.

وقد أمكن بفضل ما تجمع من مادة علمية تغطية جوانب الدراسة، وتم الأعتماد على المصادر المتنوعة والمعاصرة والقريبة لفترة الدراسة ما أمكن ذلك، وتم التعريف بالأماكن والمصطلحات والمفاهيم. وجاءت الدراسة وفق المحاور الآتية: مستوى مكانة الكتاب، التعريف بالمؤلف، أسلوبه في بناء تراجمه، منهجه واهتماماته.

1. مستوى مكانة الكتاب:

بدأ المحبي في تسويد كتاب خلاصة الأثر بعد عودته من بلاد الروم، منتهيًا من تبييضه سنة (1096هـ/1686م)، ويعكس الكتاب ميول المحبي وسعيه وراء الخبر الذي كان الدافع لإنشاء هذا الكتاب، ويصف المحبي الفترة السائدة بالسبات وكساد السلعة، بقوله: وما أقدمني على الشأن إلا تخلف أبناء الزمان عن إحراز فضل الفضل في هذا الميدان. (المحبي، 1869: 4/1).

يقع كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر في أربعة اجزاء، إذ يجمع الكتاب بين الحوادث التاريخية والتراجم لمعاصريه، فجاء الكتاب مستكملًا لما حققه سابقيه من كتب التراجم، حتى وصلت مدرسة التراجم إلى مستوى رفيع، فتطورت مدرسة التراجم حتى أصبحت تعنى بالنطاق المحدود الزمن أو تعني بطبقة معينة، فظهرت تراجم ابن حجر العسقلاني(ت852هـ/1449م) والسخاوي(902هـ/1497م) وغيرهم، وسار على دربهم المحبي في كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،، فترجم للشخصيات التي توفيت في الفترة ما بين(1001–1100هـ/1592–1686م).

2. التعريف بالمحبي(ت1111هـ/1669م):

يعدُّ محمد الأمين عالمًا وأديبًا، وإنتاجه التاريخي دليل على ذلك، بدأ من دمشق والحجاز وأرض مصر واليمن وتجاوز ذلك حتى بلغ مركز الدولة العثمانية، يتكلم التركية والفارسية وكان لتلك المعرفة باللغات أثر واضح في غزارة إنتاجه التاريخي(البوريني، 1959: 28/1؛ المحبي،1869: 277/3). وهذا ما قاله فيه مادحوه: جهبذ الألسن الثلاث ففي كل لسان لهّن يبدي فنونًا(المحبي، 1969: 434/1).

أولًا: نسبه.

هو محمد بن فضل الله بن محب الدين بن تقي الله أبي بكر بن داود بن عبد الرحمن بن عبد الخالق بن محب الدين عبد الرحمن (المرادي، 1988: 86/3)، ويرجع الأصل في أسرة المحبي إلى مدينة حماة من مدن الشام، والده فضل الله(1031-1082هـ/1622-1671م) الدمشقي المولد والوفاة (الزركلي، 1926: 153/5)، عالم من علماء القرن (الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي) له حسن المعرفة بفنون الأدب وباللغتين العربية والتركية، قرأ على يد الشيخ أحمد بن شمس الدين الصفوري[1]، ولزم الشيخ عبد اللطيف الجالقي، سافر فضل الله إلى بلاد الروم، وله من الأولاد فيض الله الذي توفي سنة(1082هـ/1671م)[2]، عندما كان أبيه غائب في القسطنطينية. وأما أمه فهي بنت أبي الصفا محمود بن أبي الصفا الاسطواني الدمشقي، ولد أبو الصفا في دمشق، وكان يعمل بالكتابة (ت1060هـ/1650م) ويشير ابن طولون إلى أنه توفي ودفن في مقبرة الفراديس[3]، (ابن طولون، د ت:301/1)، وجده لأبيه محب الله (ت1047هـ/1637م)، وصل إلى مرتبة لم يصلها أحد من علماء الشام وأوكلت إليه نيابة الشام، والقضاء فيها بأمر سلطاني، ودفن قرب جامع جراح[4]، ووالد جّده محب الله هو محمد بن أبي بكر عاش في الفترة (949-1016هـ/1542-1607م)، ولد في مدينة حماة[5] ويلقب بمحب الدين بن تقي الدين أبو الفضل حيث يذكر الغزي بأنه كان مؤرخًا(الغزي، 1975: 15/2)، وكان والده أبي بكر تقي الدين كاتبًا في مدينة حماة، له مؤلفات كثيرة وكان ممّن توحّد في عصره بمعرفة الفنون كالتفسير والفقه والنحو والمعاني والفرائض والحساب والفنون الغربية كالزايرجا[6]. (خليفة،1997: 948/2). كذلك من أبناء عمومته محمد بن عبد اللطيف بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين الخلوتي الدمشقي الحنفي(1018-1072هـ/1609-1661م). (البوريني،1959: 345/2)، وهو ابن عم والد المؤلف. (الزركلي، 1926: 61/6).

ثانيًا: نشأته.

كفله عمه صنع الله(1097هـ/1685م). وعمره إحدى عشر سنة بعد أن سافر والده إلى بلاد الروم، وكان صنع الله بمكانة والده، فرعاه ورباه وكان شفوقًا به، وعين صنع الله بعدد من الوظائف حيث ناب بمحاكم دمشق القضاء وتولى القضاء في القدس، وسافر مع عمه صنع الله إلى بلاد الروم، وتوفي عمه بعد عودته من بلاد الروم في سرمين[7]سنة (1097هـ/1685م). (المحبي، 1969: 259/2).

نشأ محمد المحبي على تقاليد أسرة مثقفة جمعت بين العلم والأدب، وبين الفقه والشعر، والعلم ووجاهة الناس، فكانت البنية الموروثة متينة ساعدته لينطلق منها(المحبي، 1969: 277/3) وكان لاستقائه ودراسته على أيدي علماء عصره الدور الكبير في تكوين شخصيته فكان مؤرخًا ولم يتجاوز السادسة عشر من عمره، ظهر ميوله منذ نعومة أظافره نحو متابعة الأخبار، فجمع ذلك في كتابه التاريخي الضخم خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، وجاء عمله دقيقًا ومتوازنًا، وهو ما ميّز كتابه خلاصة الأثر عن كتاب نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة. (المحبي،1969: 4/1).

1.الشيخ أحمد الصفوري: هو أحمد بن شمس الدين الصفوري الدمشقي الشافعي المعروف بالبيضاوي، عالم ومؤرخ ولد بصفورية قدم دمشق كتب كثيره، له تلاميذ يأتون إليهم، لم يتزوج قط، توفي بدمشق سنة(1048هـ/1638م) للمزيد انظر: المحبي، محمد بن فضل الله المحبي (ت1111هـ/1699م). خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. (4ج)، دمشق، سوريا.(1869م). ج1، ص217.

2.القسطنطينية: هي قلعة كبيرة جدًا حصينة، وهي دار الملك، بناها قسطنطين بن سوريوس صاحب رومية، يحيطها البحر من جوانبها الثلاث، وفيها قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري للمزيد انظر: الحموي، ياقوت عبدالله الرومي الحموي شهاب الدين (ت626هـ/1228م). معجم البلدان.(ط2). بيروت. دار صادر. (1995). ج4، ص349؛ المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص278.

3. مقبرة الفراديس: تقع في مدينة دمشق وتعدُّ من أكبر مقابرها، دعيت بذلك لكثرة البساتين التي حولها للمزيد انظر: الحموي، البلدان، ج4، ص241.

4.جامع جراح: يقع في دمشق عند بمحلة سوق الغنم وكان مسجًا للجنائز وفيه بئر ماء خرب ثم جدده جراح المضحي، ثم انشاءه جامعا الملك الأشرف موسى بن الملك العادل سنة(631هـ/1233م)، للمزيد انظر: النعيمي، عبد القادر محمد النعيمي الدمشقي (ت978هـ/1570م).الدارس في تاريخ المدارس.(2ج). ط1.أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين. بيروت. لبنان. دار الكتاب العلمية.(1990م).ج2، ص323.

5.مدينة حماه: مدينة قديمة من مدن بلاد الشام "سوريا حاليًا" شمال مدينة حمص، يجري بها نهر العاصي، اشتهرت بنواعيرها وبساتينها، فتحها أبو عبيدة عامر بن الجراح للمزيد انظر: الحموي، البلدان، ج2، ص230.

6.الزايرجا: نسبت إلى "أبي العباس احمد السبتي" وهي من الأساليب الصناعية لاستخراج الغيب، وتعتمد على رسم دوائر تمثل الفلك، والعناصر، والمكونات وغير ذلك من الكائنات الحية وقد شرحها ابن خلدون للمزيد: انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الأشبيلي (ت808هـ/1405م). المقدمة. تحقيق: كاترمير عن طبعة باريس، بيروت. مكتبة لبنان.(1992م). ص153.

7.سرمين: بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر الميم، ثم ياء مثناة من تحت ساكنه واخره نون: وهي بلدة قديمة من أعمال حلب وقيل انها سميت بذلك نسبه إلى سرمين ابن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام للمزيد انظر: الحموي، البلدان، ج3، ص215.

ثالثًا: شيوخه ومصادر ثقافته.

من الأدلة القوية للمرتبة العالية للإنسان معرفة الرجال الذين تعلم منهم، وتربى على أيديهم، واستقى من النبع الذي استقوا منه، ولحسن حظ مؤرخنًا أن اجتمع لديه الشيوخ الذي يشار إليهم بالبنان، وامتزجت في فكره ثقافاتهم المختلفة، ليشمل ذلك معظم مناطق العالم الإسلامي والمناطق المجاورة، كلًا حسب ذوق فنه، لتشكل بذلك كم هائل من الفكر المتجدد في الفنون المختلفة. (المرادي،1988: 86/4).

نهل من ثقافة والده فأخذ عنه اساليب الأنشاء(القلقشندي،1922: 5/1)، وأستقى من جّده علم التاريخ الذي كان مؤرخًا.(المحبي،1869: 308/3) وكان لتلقي علمه على أيدي كبار علماء عصره في حماه ودمشق ومصر وعلماء الدولة العثمانية، أن أعطي مهنة التدريس حيث درس بالمدرسة القصاعية[8]، وتقع بمحلة الخضيرية بدمشق[9]، درس على يد كبار علماء دمشق في الفقه والحديث والأدب، ومنهم علاّمة عصره نجم الدين الغزي، تولى القضاء ورحل في طلب العلم (تنقل بين بيروت، وبلاد الروم، ودمشق)، نهل المحبي علومه المختلفة من كبار علماء دمشق خاصة وبلاد الشام عامة، وتعدى ذلك إلى علماء بلاد الروم وغيرهم، ليزيد معرفته العلمية، والأدبية، حيث أخذ عنهم العلوم المختلفة التي ساعدته في تكوين شخصيته التاريخية.

رابعًا: حياته العلمية.

تعلّم القراءة والكتابة على يد عمه، وعلى يد والده تعلم أساليب الإنشاء، حفظ القرآن وهو في سن الحادية عشر(1073هـ/1662م)، وتعلم التجويد على يد إبراهيم بن رمضان الدمشقي الحنفي (ت1079هـ/1668م)، بدأ بالاشتغال بالعلم وهو ابن الحادي عشر(المحبي،1869: 1/4)، يتزامن ذلك مع مغادرة والده لدمشق إلى بلاد الروم لمدة أربع سنوات، وكان في كفالة عمه صنع الله القاضي توفي سنة(1037هـ/1097م) (القلقشندي،1922: 5/1)، وأخذ يستقي من علماء دمشق العلوم المختلفة (التفسير، الحديث، الفقه، النحو، المعاني، البيان، المنطق، التصوف وغير ذلك)، واستهوى المحبي الشعر، وبرع فيه، وأول قوله في الشعر عندما بعث رسالة إلى والده بالقسطنطينية، شوقًا إليه ويشكوه الفرقة، وبعد عودة والده من بلاد الروم، صحبه إلى بيروت، وبدأ يقرأ التاريخ، وانطلق المحبي لاستقاء المعرفة من علماء الشام ومن كبار العلماء الذين يأتون إليها، مكتسبًا معرفة ثقافية واسعة، وفي الخامسة والعشرون من عمره قرر المحبي أن يغادر وطنه إلى بلاد الروم، متبعًا خطى والده وأجداده، من قبل للأخذ عن علماء الروم وقضاتها. (المحبي،1969: 141/4).

تولى المحبي أول منصب في التدريس في مدرسة لامعي[10] عندما منحه التدريس محمد بن لطف الله(1092هـ/1681م)[11]، ومنحه كذلك التدريس في مدرسة خوجة خير الدين(المحبي، 1869: 131/4)، وعمل مدرسًا في المدرسة الأمينية[12]، لزم مجلس البكري ومجلس القاضي عارف بمصر، وانتشرت شهرته وقصد المحبي كثير من طلبة العلم، وفي سلك القضاء كان لمرافقته المحبي شيخه محمد عزتي شوطًا طويلًا إلا أنه لا يذكر أنه ولاه منصبًا قضائيًا، ومع هذا نلاحظ المحبي يخاطب معلمه ويبدي له نفورًا من القضاء. (المحبي،1969: 141/4).

خامسًا: رحلاته.

صحب عمه صنع الله في رحلته إلى بلاد الروم سنة(1086هـ/1675م)، وامتدت قرابة الخمس سنوات وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، يرافقهما محمد بن عبد الحليم البروسوي، وكانت وجهتهم بلد البروسوي بورصة عاصمة الدولة العثمانية[13] وكانت مركزًا من مراكز العلم الكبرى في الدولة العثمانية، وبعدها توجه المحبي برفقة عمه إلى أدرنة[14]، العاصمة الثانية للدولة العثمانية، وفيها اقام المحبي عدة أشهر، واتصل

8.المدرسة القصاعية: تقع في حارة القصاعين، داخل باب الجابية في دمشق، أنشأتها خطلسي خاتون بنت ككجا في سنة(593هـ/1197م) وأوقفتها على الحنفية، للمزيد أنظر: النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس،ج1، ص434.

9.محلة الخضيرية: أنشائها قاضي القضاة قطب الدين أبو الخير محمد بن محمد بن عبدالله بن خضير الخضيري، الدمشقي، الشافعي، الحافظ، سنة(878هـ/1473م)، للمزيد أنظر: النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس،ج1، ص7.

10.مدرسة لامعي تقع مدرسة لامعي في ولاية بورصة العثمانية ومن أشهر مدرسيها محمد بن لطف الله الرومي (1092هـ/ 1681م)، الشهير بمحمد العربي للمزيد أنظر: المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص131.

11. محمد بن لطف الله الرومي(ت1092هـ/1681م)، الشهير بمحمد العربي، شاعر وأديب، من أفاضل رجالات الدولة العثمانية، تقّلد الكثير من المناصب الإدارية كقاضي العسكر، ورياسة العلماء للمزيد أنظر: المحبي، خلاصة الأثر،ج4، ص131، ص142.

12.المدرسة الأمينية: تقع قبل باب الزيادة من أبواب الجامع الاموي المعروف بباب الساعات قديمًا، وقيل أنها أول مدرسة بنيت للشافعية في مدينة دمشق للشافعية، بناها اتابك العساكر بدمشق وكان يقال له أمين الدولة، وقال ابن شداد: بانيها أمين الدولة ربيع الإسلام، ودرس بها نخبة من علماء الأمة أمثال جمال الدين بن سيما ونجم الدين ابو البركات عبد الرحمن بن أبي عصرون وغيرهم الكثير للمزيد أنظر: النعيمي، الدارس، ج1، ص132 وما تلاها.

13.بورصة: هي مدينة تقع في الشمال الغربي من آسيا الصغرى(تركيا حاليًا)، كانت العاصمة الأولى للدولة العثمانية، فتحها أورخان غاني سلاطين العثمانيين عام(726هـ/1326م)، أنظر: القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت1019هـ/ 1610م). أخبار الدول وآثار الأول، (3ج). ط1. بيروت. عالم الكتب،(1992م). ج3، ص315.

14.أدرنة: مدينة عظيمة بينها وبين القسطنطينية ثماني مراحل وهي ذات أسوار وبها قلعة حصينة، وهي من أعظم المدن، تجري من تحتها ثلاثة أنهار، مشى للسلاطين العثمانيين،

بكثير من العلماء، فاجتمع بقاضي العسكر مصطفى بن عبدالحليم البروسوي، شقيق محمد عبد الحليم البروسوي. والتقى بها بعدد من العلماء وأخذ عنهم، فالتقى عبد القادر عمر البغدادي وقال فيه: "مطّلعًا على أقسام كلام العرب، النظم والنثر، راويا لوقائعها وحروبها وأيامها، وكان يحفظ مقامات الحريري (القلقشندي، 1922: 36/4؛ المحبي، 1869: 276/4، 277) واقتنى المحبي كتابه المسمى شرح شواهد شرح الكافية، واستفاد منه وطالع مؤلفات أخرى للحريري. واجتمع بمحمد قاضي القضاة (1087هـ/1677م)، ودون ملاحظاته في التفسير. والتقى بالصوفي الخلوتي محمد البخشي الحلبي (1098هـ/1669م)، وكان يجتمع به في معظم الأوقات، وقال فيهما: "رأيت فيمن رأيت أحلم ولا أحمل منه، وكان روح الله تعالى روحه، من خيار الخيار، كريم الطبع، مفرط السخاء".(المحبي، 1969: 208/4).

انتقل المحبي مع عمه إلى القسطنطينية، وربط المحبي بين سفره وسفر السلطان محمد الرابع(1052-1105هـ/1642-1693م) إلى عاصمته القسطنطينية، والتحق بمحمد بن لطف الله، المعروف بالشيخ العربي (1092هـ/1681م)، وكان مجلسه يضم جمعًا كبيرًا حافلًا من العلماء والأفاضل ويكون فيه المطارحة والمذاكرة لجميع الميادين الأدبية والشعر وغيرها، وبقي إلى جوار محمد عزتي. ومكث المحبي في القسطنطينية لمدة خمس سنوات، يسهر في سبيل طلب العلم، كما ترجم المحبي لعلماء الروم في كتاب خلاصة الأثر، فقد أحاط واطلع من خلال احتكاكه بعلماء الروم وشعرائهم على ميادين الشعر، والأدب، والتاريخ، والجغرافيا، وعلوم اللغة، والعلوم العقلية وأخذ الكيمياء عن علمائهم، ودون ذلك في ملاحظاته. (الغزي، 1975: 172/1).

عاد المحبي من بلاد الروم سنة(1092هـ/1699م) إلى الشام، لتبدأ فترة عطاءه التي بلغت حوالي تسعة عشر عامًا هجريًا، تنقل فيها بين دمشق والحجاز مصر، ويبدو أنه كان غير متفائل بعودته ويصف ذلك بقوله: "رأيت الدهر عاندني في الديار والأحباب، وكساني المشيب قبل أن أعرف مقدار حق الشباب، وقد ولتني الثلاثون أذنابها وصبت علي المصائب ذنابها.... فلا أرى إلا همًا وحسرة ولا أراني إلا كاسفًا معنى، وكأنني لفظ بلا معنى، فزمان فرحي أقصر من التفات الحبيب، وتلفتي للسراء تلفت المريض للطبيب في أوقات أثقل من الحديث المعاد" (المحبي،1969: 9/1).

ومن دمشق رحل إلى بلاد الحجاز وزار الأماكن المقدسة لأداء مناسك الحج، والتقى فيها بعدد من علمائها، فالتقى بالسيد بن أحمد بن شيحان، وتيسر له رواية جميع ماله من تأليف ونقل عنه، وعن والده، وأجازه مشافه برواية جميع ما لوالده أيام مجاورته له في أواسط سنة(1100هـ/1691م). (المحبي،1869: 202/2).

والتقى كذلك بالعالم حسن العجمي المكي(1113هـ/1702م)، وأحمد بن محمد النخلي الشافعي (ت1139هـ/01726م)[15]، وغيره من العلماء. (المحبي، 1969: 3/ 303).

وخلاصة القول في رحلته إلى الحجاز أن المعلومات كانت قليلة عن زيارة المحبي لها، وقد تكون الفترة التي مكثها في الحجاز ليست بالطويلة فهي لم تزد عن عام من(1100-1101هـ/1691م-1692م). (المرادي،1988: 171/1).

وعاد إلى موطنه دمشق ولم يقم بزيارة مصر وفي ذلك يقول: "فمنعني حكم القضاء الذي لا يقابل إلا بالرضا، وعاد مرة أخرى إلى الانعزال والوحدة في دمشق ويشير إلى ذلك بقوله،.... وحبب إلي الانعزال عن الناس، فلم أخالطهم في وحشة ولا إيناس". وبقي على هذه الحال إلى أن قدم دمشق الأستاذ زين العابدين البكري(الغزي،1975: 15/2؛ كحالة،1993: 72/2)، فأخرجه من عزلته وهمه وكآبته، وأراد أن يصطحبه إلى مصر إلا أن عائقًا منعه من صحبته: فتخلفت لعائق خلفني لولوعي، ذاك ولوع للمجد لا لنجد، وغرام للعليا لا للافيا.(المحبي، 1969: 19/1).

وتطلع المحبي بشوق إلى زيارة مصر وإلى لقاء زين العابدين البكري، حتى قدم الشام المولى الأعظم عبد الباقي المعروف بعارف يحمل له رسالة دعوة لزيارة القاهرة، ولما نزل المحبي القاهرة كان في حمى القاضي عبد الباقي ويعمل نائبًا له في القضاء، وفتحت له أبواب القدر ويعبر عن ذلك بقوله: "... وأنا الآن في ظل رعايتهما، مصاحب الراحة والدعة، وأينما حللت نزلت على الرحب والسعة، فلهذا صفا فكري هذه الأيام من الشوائب، وأمنت بعون الله، وصمت النوائب، وشرعت بأمرهما في نسخ ما سودته أولًا وثانيًا (الغزي، 1975: 96؛ المحبي، 1969: 16/1).

ومن مجلس الأستاذ زين العابدين البكري ذاع صيت المحبي وشهرته، وأخذ يقصده وينهل من علمه طلاب العلم الذين لا ينكرون فضله وعلمه، ومع هذا بقي الحنين إلى دمشق مسقط رأسه، وأكد ذلك بقوله: "...أحن من حمامة لفرخ، وأورى شوقًا من عفار(نوع من أنواع الشجر يتخذ منه الزناد). فكان المحبي شديد الاشتياق إلى وطنه الشام. وأكد ذلك من خلال مراسلاته مع شيخه عثمان المعروف بالقطان بقوله: "وإما دمشق فشوقي إليها كشوق البلبل إلى الورد".(المحبي،1969: 589/1).

فتحها الملك مراد خان بن أورخان سنة (761هـ/1359م) وجعلها دار للسلطنة للمزيد أنظر: القرماني، أخبار الدول،ج3، ص307.

[15].النخلي: أحمد بن محمد بن علي النخلي، المكي، الشافعي(ت1139هـ/1726م)، ولد في مكة ونشا بها، ذكره الكتاني في فهرس الفهارس، واعتبره من مسانيد الحجاز السبعة، له مؤلف بغية الطالبين لبيان أشياخ المحققين المدققين للمزيد أنظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان أبي العباس شمس الدين(ت681هـ/1282م)(1994م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،(7ج)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت. دار صادر،ج1، ص230؛ المرادي، محمد خليل بن علي المرادي(ت1206هـ/1791م). سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر(4ج). بيروت. لبنان. دار البشائر الإسلامية. (1988م). ج1، ص171.

سادسًا: تلاميذه.

قصده الطلبة من كل مكان، وتكاثر تلاميذه، وتنوعوا في أصولهم فمنهم من أهالي بلاد الشام، والحجاز، ومصر، وبلاد الروم أذكر منهم: محمد خليل بن علي المرادي(ت1206هـ/1791م)[16]، محمد بن محمود بن محمود المحمودي السؤلاتي الحنفي العثماني، مصطفى حسن الصمادي، صادق بن محمد الشهير بابن الخراط(ت1639هـ/1649م)[17] محمد بن أحمد الكنجي (ت1152هـ /1739م)، عبد الحق بن محمد الحجازي (البوريني، 1959: 353/2)، عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرزاق، مصطفى بن أحمد باشا الترزي. (المرادي، 1988: 166/4، 178).

تنوّع تلاميذ المحبي دليل على مكانته العلمية في المجتمع الشامي، الذين شغلوا المناصب العديدة والمهمة في الدولة، وكان لهم دور كبير في حياة العامة، فكان تأثيره بهم داخل بلاد الشام وخارجها خلال رحلاته لبلاد الروم وعقد مجالس العلم.

سابعًا: مؤلفاته.

المرحلة الثانية من حياة المحبي تعدُّ فترة العطاء وهي التي انصرف فها المحبي إلى إنتاجه المتنوع، التي كانت عصارة فكره فتعددت مؤلفاته وغزر إنتاجه، ويمكن تصنيف مؤلفاته إلى ثلاث مجموعات من المؤلفات وهي مؤلفات ذات طابع لغوي، ومؤلفات أدبية، نثرية وشعرية، ومؤلفات تاريخية.

1.المؤلفات اللغوية:

وهي ما اهتمّ به المحبي في ما يخدم اللغة العربية قواعدها ومفرداتها، فاتبع سابقيه من الذين أهتموا باللغة العربية وخصوصًا حينما أصاب اللغة العربية من الألفاظ الدخيلة وما حدث من لحن وانحراف، وبهذا يحاول المحبي الحفاظ على نقاء وصفاء اللغة العربية وتعريب المصطلحات والألفاظ التركية والسياسية بفعل الحكم التركي للعرب.(المحبي،1869: 448/4).

وشملت المؤلفات اللغوية: كتاب ما يعول عليه بالمضاف والمضاف إليه. وهو كتاب لبسط كتاب أبي منصور الثعالبي ثمار القلوب في المضاف والمنسوب[18]، وكتاب جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين، ألفه المحبي ملحقًا بكتاب ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه وكان من آخر مؤلفات المحبي زمنًا، وقد ذكره السؤلاتي في ذيل نفحة الريحانة باسم المثنى الذي لا يكاد يتثنى، وقد رتب المحبي الكتاب على حروف المعجم، وهذا الكتاب من آخر ما ألف المحبي، فقد تم تأليفه سنة(1110هـ/ 1668م)، وتوجد نسخه خطية منه في دار الكتب المصرية رقم 213 لغة تيمور. (المحبي، 1969: 18/1).

وله كتاب الدر الموصوف في الصفة والموصوف، ومن مؤلفاته كتاب الناموس، وهو حاشية على القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي (ت817هـ/1415م).(الذهبي، 1997: 19/8). وكتاب قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، ذكره المرادي، ووضع المحبي هذا الكتاب جامعًا فيه أعمال من سبقوه.(المرادي، 1988: 86/4).

2.المؤلفات الأدبية:

أول مؤلف للمحبي كان كتاب الأمالي، ذكره المرادي بكتاب أمالي (المرادي،1988: 6/4)، وللمحبي ديوان شعر، فهو شاعر وأديب، يقول المحبي: "فأني لم أزل منذ ألقيت الألواح، وميزت بين المصباح والصباح، أنفق نقد عمري في تحصيل الأدب...أجمع ما تفرق من تلك القصائد في ديوان، فجمعت منها ما حضر، وما قلته في أوقات الحضر"،(المرادي، 1988: 86/4).

3.المؤلفات التاريخية:

يعدُّ كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، أضخم كتاب تاريخ للمحبي، ومن مؤلفاته التاريخية كتاب نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، كتاب ضخم قلد فيه المحبي ريحانة الألباب وزهرة الحياة الدنيا لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري(ت1069هـ/1685م) (المحبي، 1869: 331/1)، وهو تاريخ لشعراء(القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي)، شمل تراجم أبرز الشعراء في جميع الأقطار العربية واحتوى الباب الثالث من نفحة الريحانة على نوابغ بلاد الروم، وذيل نفحة الريحانة، ذكر المحبي أسباب تأليفه للكتاب في مقدمته. (المحبي، 1969: 25/1).

---

16. هو أبو الفضل محمد خليل بن علي المرادي(ت1206هـ/1791م) من بيت علم وسيادة، مؤرخ، ومفتي الشام ونقيب اشرافها، ولد ونشا بدمشق وقرأ القرآن على يد الشيخ سليمان المصري، درس العلوم والآداب وأتقن اللغة التركية، صنف عدد كبير من المصنفات منها "كتاب سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر"، للمزيد أنظر: الزركلي: الاعلام، ج6، ص118.

17. صادق الخراط: هو صادق بن محمد بن حسين ابن الخراط الحنفي الدمشقي اللوذعي، عالم، أديب، شاعر، عارفًا بالأحكام الشرعية له المعرفة الطولى في تنميق الصكوك والتوريق، كان يتولى نيابة محكمة الباب العالي، لازم الأستاذ عبد الغني النابلسي، وتزوج بنته، درس بالمدرسة العمرية(ت1143هـ/1730م) ودفن بتربة الباب الصغير للمزيد أنظر: خليفة، حاجي مصطفى بن عبدالله (ت1067هـ/1725م). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون(6ج). بيروت، لبنان. دار الفكر.(1997م). ج1، ص77.

18.أبو منصور الثعالبي: هو عبد الملك بن محمد(ت429هـ/1038م) مؤرخ وكاتب، من أئمة اللغة والأدب عاصر سبكتكين، أنظر: المرادي، محمد خليل بن علي المرادي (ت1206هـ/1791م). سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. (4ج). بيروت. لبنان. دار البشائر الإسلامية.(1988م). ج4، ص86؛ كارل، بروكلمان(1950م). ذيل تاريخ الأدب العربي، تعريب نبيه أمين ومنير البعلبكي،(5ج)، بيروت، لبنان، مكتبة الأدب للنشر والتوزيع. م2، ص403، ص404.

وتعود أهمية مؤلفاته التاريخية لمكانة مصادره التي ذكرها المحبي في مقدمة كتاب خلاصة الأثر، وربط المحبي ما بين الحوادث التاريخية والتراجم لمعاصريه، مما أكسب مؤلفاته تنوع في المعلومات عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في تلك الفترة،(المحبي، 1869: 412/2).

وفاته: كانت وفاته في مدينة دمشق، ودفن بتربة الذهبية من مرج الدحداح، التي تقع بالمقابل إلى قبر العارف بالله أبي شامه[19]، وكان ذلك في 18جمادى الأولى سنة(1111هـ/1699م). (المرادي، 1988: 91/4).

ثامنًا: المحبي ومنهج الكتابة في خلاصة الأثر:

بدأ المحبي في تسويد كتاب خلاصة الأثر بعد عودته من بلاد الروم، منتهيًا من تبييضه سنة (1096هـ/1686م)، ويعكس الكتاب ميول المحبي وسعيه وراء الخبر الذي كان الدافع لتأليف هذا الكتاب، ويصف المحبي الفترة السائدة بالسبات وكساد السلعة، بقوله: وما أقدمني على الشأن إلا تخلف أبناء الزمان عن إحراز فضل الفضل في هذا الميدان. (المحبي، 1869: 4/1).

بدأ كتابه بمقدمة وحمد لله تعالى وفي أثناء على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبين منهجه ومصادر الكتاب التي اعتمد عليها، ويوضح المحبي حرصه الشديد لجمع الأخبار والبحث عن أخبار الكمال الأخيار واقتصر تلك الأخبار على ابناء المائة التي هو فيها، وحرص على جمع معلوماته ونبذ كل ما اختلف فيها، ووقع اختياره على أضافه كل أثر إلى ترجمة من أسند إليه.

تأثر بوالده وعلماء عصره كان واضحًا في كتابه نفحة الريحانة، حيث ظهر مقلدًا لهم فاستخدم الأسلوب المسجع والمنمق وهو سمة من سمات ذلك العصر. لكن أختلف أسلوبه في خلاصة الأثر، وأفصح عن ذلك بقوله: "وكنت ترجمته في كتابي النفحة وغيرت ترجمته إلى قالب آخر حسبما التزمته فيها من الالتزامات، فما عليّ أن أذكر المعدول عنه إذ فيه على كل حال تطريته". (المحبي،1869: 131/1).

واستخدم أسلوبه الخاص به وكان دقيقًا جدًا في انتقاء الألفاظ ليحافظ على المعنى، وبين ذلك في تراجمه، حيث ذكر أولا الاسم الذي أوله همزه ممدودة فبدأ بآدم الانطالي في بداية ترجمته، ثم ما كان أوله ألف، وبعدها يختار اسم الأب، وإذا تعددت الترجمات في ذلك، قدم الأسبق بالوفاة، ثم يرجع ويذكر من بعد حرف الهمزة الحروف المعجمة بالتسلسل الأبجدي، ويذكر كل حرف ما فيه من أسماء، مقدما ما كان في ثاني الاسم من الحروف المقدمة، وهكذا يفعل في أسماء الآباء، ويذكر من وصله اسم والده أولا حتى يذكر من لم يعرف اسم والده، مراعيًا في ذلك الأسبق في الوفاة، ويكتفي المحبي بذكر الكنية أو اللقب إذا اشتهر صاحب الترجمة بأحدهما.(المحبي،1869: 4/1).

وقد أدخل المحبي كذلك الشعر مع النثر، وهي سمة من سمات ذلك العصر، فاختلفت بذلك ترجمته للشخصية في كتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر عن كتابه نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، مما جعل أسلوبه يتميز بخصائص منها، فصاحة اللفظ ومعجميته، كقوله: ورصفت صروفك لي سافًا على ساف فأسفت حتى ما اشتكى السواف(السواف ذهاب المال)، وإذا أتت على أم اللهيم لا رئمت لخلق بوّضيم[20].

اختار المحبي الأساليب البلاغية، محافظًا على البلاغة، كنحو قوله: وكثر الباكون من موافاة آفاته حبسه سليمان الزمان إذ ذاك كما تحبس المردة وأحرقه بنار كد موقده فاستمرت في الحبس إلى أن تشرف سرير السلطنة بسلطان العالم المفرد الجامع لكمال بني آدم فلما رأى أنه حبس مرارًا واستوطن الحبس دارًا، وكان يقول إذا تكرر الدواء لا ينفع وإذا طال مكث السيف في غمده. كما رأى تضمين العبارات بعض التعبيرات البليغة، شائعة الاستعمال لدى بلغاء الكتاب، كقوله: "... الوالد حاوي الفضائل الخالد منها والتالد، المتدرع بجلباب الهدى والتقى، المتورع الذي حل محل النجم وارتقى".(المحبي، 1869: 59/1، 71).

حرص المحبي على توارد الكثير من المصطلحات والأمثال وتعبيرات عصره والألفاظ، كنحو قوله: وكان مبتلى بعلة الكبد ولازم الحمية مدة مديدة، وقوله: شويعر بذي اللسان كثير الإساءة قليل الإحسان، فقال له: تقتلون القتيل وتمشون في جنازته، وتذهب عنك الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن، أو فلأجل عين ألف عين تكرم وبالنسبة للألفاظ غير العربية فأنه كان يسعى إلى شرحها وكان يفسر الشعر أحيانًا".(المحبي،1869: 20/3).

يلاحظ على أسلوب المحبي أيضًا التأثر بالقرآن الكريم والاقتباس منه، فظهر ذلك في ترجمته للشيخ إبراهيم ابن أبي الحرم، حيث يقول: "مر غلام جميل فعثرت فرس في طين أصاب وجه الغلام منه نزر فقال الظريف ياليتني كنت ترابًا، فقال بعض المارين للغلام ما يقول هذا فقال ويقول الكافر ياليتني كنت ترابًا. (المحبي،1869: 43/1).

كذلك تداخل الشعر مع النثر في تراجم المحبي، وهي ميزة من مميزات شعراء وعلماء ذلك العصر، كان يستعملها أحيانًا دون أخلال بالمعنى. وابتعد عن السجع والتكلف في الألفاظ، وابتعد عن السجع والتكلف ومع ذلك فقد حافظ المحبي على ما نقله من سبقوه.

---

[19].أبو شامه: هو عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي، الدمشقي(ت665هـ/1267م)، محدث ومؤرخ لقب ابا شامه لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر، له كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية" للمزيد أنظر: النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس،ج1، ص23؛ المقبرة الذهبية: تقع في دمشق شرق مقبرة الفراديس، جنوب شباك الخانقات النحاسية، أنظر: الغزي، لطف السمر،ج30،1.

[20].المقصود أتت عليه أم اللهيم أي اهلكته الداهية ويقال المنية والبوّ: جلد الحوار المحشو لبنًا وأصله أن الناقة إذا ألقت سقطها فخيف انقطاع لبنها أخذوا جلد وراها فيملئ لبنا ويلطخ بشيء من سلاها(المادة التي تخرجها الناقة) فترأمه وتدر عليه للمزيد أنظر: المحبي، خلاصة الأثر،ج3، ص27.

واستعمل المحبي كذلك المختصرات في التراجم والحوادث كنحو قوله: "والقصيدتان في غاية الطول فلا حاجة بنا إلى إيرادهما". وأكثر شعره موجود في أيدي الناس فلا حاجه إلى الإكثار منه هنا.(المحبي، 1869: 151/1).

وكان كذلك يذكر التدوين التاريخي بالحروف، وليس بالأرقام ويذكر الأرقام بالحروف، ولم يزاوج المحبي بين الأرقام والحروف وكان يذكر العمر بالحروف، وضبط الأسماء في الأعلام والأنساب والأمكنة فكان بالحروف وليس شكلًا بالقلم. وكثيرًا ما كان يعرب عن رأيه وانفعالاته بعبارات وألفاظ ساخرة أو يظهر ميوله، فهو يوضح ميوله اتجاه سلاطين الدولة العثمانية، وتأثر كذلك بعلماء عصره وأظهر محبته إليهم، وأفصح بكثير من المواقع عن ذلك، وحرص المحبي على نقل كامل لما أورده مترجمون سابقون واعترف بذلك، وبذلك يمكن القول أنه كان واضح العبارة مبرزًا للحقيقة والواقع. بعيدًا عن الحشو في الكلام، لا لبس في ما طرحه أو تعقيد للقارئ، دقيقًا في طرح الحقيقة.

ونلحظ على ترجماته التباين بين الطول والقصر والاختلاف في نوعية الأعلام المترجم لهم، ومدى توفر المعلومات، والمعطيات التي تحتويها التراجم، ومصادر ترجمتهم عند المحبي، وصلته بالمترجم لهم ومدى علاقته بهم، فكانت الإطالة أحيانًا والتقصير أحيانًا أخرى مما تسبب في عدم التوازن في الصفحات، أدت إلى الاختلال والتباين في مادة التراجم، وأهم العناصر التي شملتها الترجمة ما يلي:

1.الاسم: تصدر ويتسلسل اسم الترجمة في أغلب الأحيان ليشمل اسم المترجم له فوالده فأجداده، كنحو قوله: موسى بن سعد الدين بن محمد بن حسين السعدي الجباوي الدمشقي.(المحبي،1869: 12/1) ويلاحظ في ذلك أن المحبي كان دقيقًا في إثبات الاسم ويتتبع سلسلة النسب، وان الترجمات التي وردت الأسماء فيها مطولة، وقد تسلسل النسب فيها، كما أنه كثيرًا ما يضبط الاسم بالحرف، كنحو قوله: الحصفكي بفتح الحاء وسكون الصاد المهملتين وفتح الكاف وفي آخرها الفاء.(المحبي،1869: 432/4).

2.اللقب: كان المحبي حريصًا على ذكر الألقاب، كما كان حريصًا على إيراد الألقاب مع ما يضاف إليه، وتوضع إما لتشهير أو التعريف والتحقير وغير ذلك، وكان وحريصًا على لقب المترجم له فحسب، وإن تسلسلت الألقاب في بعض الأحيان لترد ثنائية السلطان إبراهيم أو ثلاثية السلطان بن أحمد بن محمد، أو رباعية.(المحبي، 1869: 13/1، 14/3).

3.الكنية: وهي ليست اسم وتبدأ غالبًا بكلمة أب أو ابن أو عم وغير ذلك، واقتصرت على المترجم له فحسب، كنحو قوله: أبو بكر، والشيخ أبو بكر والأمير أبو بكر، وأبو الطيب مع ملاحظة أن تلك الموضوعات قليلة قياسًا بالإحصاء العددي للترجمات.(المحبي، 1869: 64/1، 90).

4.اسم الشهرة: يشتهر المترجم له أحيانًا بغير اسمه العلم، أو بغير لقبه أو كنيته وأورد المحبي اسم الشهرة مسبوقًا بالمعروف بالشهير بـ الملقب كقوله في ترجمته للسيد حسن المجذوب: "المعروف بالغريق"".(المحبي،1869: 76/2). وقوله في ترجمته حسين بن شيخ. المعروف بالقاطر(البغل)".(المحبي،1869: 118/2).

5.النسبة: ويكون هذا بنسبة المترجم له إلى القبيلة، كنحو قوله: ابن الأهدل.(المحبي،1869: 90/1، 135).

أو بنسبته إلى المدينة كنحو قوله: المقدسي أو إلى الجنس، كنحو قوله: الرومي أو إلى المذهب، كنحو قوله: الشافعي، والحنفي والحنبلي، أو إلى العقيدة، كنحو قوله: الصوفي، أو إلى الديانة، كنحو قوله: القبطي.(المحبي، 1869: 1/ 64).

6.الموطن: كما كان المحبي حريصًا على ذكر الموضع الذي نزله المترجم أي شارك في السكن أو استقر فيه، فذكر كثيرًا في ذلك ومنها قوله: نزيل دمشق أو الإقامة في الموطن وهي العيش فيه طول الحياة أقام بدمشق، أقام باليمن.(المحبي،1869: 31/4، 317).

7. الألقاب العلمية والصفات الأصلية: وكثيرًا ما تتخلل هذه التراجم الصفات العلمية والصفات الأصلية والدالة على أصالة المترجم له وعراقة نسبه، كنحو قوله: الفقيه، الأديب، والواعظ، والعالم الباهر الماهر المدقق، ومحدثًا، ونحو ذلك.(المحبي،1869: 51/1، 73/4).

8. كان يذكر التأريخ على أكمل وجه بذكر اليوم والشهر والسنة، كنحو قوله: السبع في شهر ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة، أو التاريخ بالشهر والسنة كنحو قوله: ولد في صفر سنة خمسين وتسعمائة، أو التأريخ بالسنة فقط، كنحو قوله: سنة ثمان بعد الألف، ومع هذا فإنه لا يجزم بالتأريخ في مواضع عدة بل يكون تقديره له على وجه التقريب، كنحو: وكانت ولادته في سنة ثمانين وتسعمائة بالمدينة، أو أحيانًا يربط الولادة بالمكان ولد بمكة. (المحبي، 1869: 48/1، 358).

9. تقدير عمر المترجم له: وورد أنه يقدر عمر المترجم له كنحو قوله: مات شهيدًا نحو ثمانين سنة، أو عن نحو خمسين سنة، وهكذا.(المحبي،1869: 66/3).

10.الوفاة: أورد المحبي الوفيات ووثق لها في موضوعات كثيرة فأما أن يذكر اليوم والأسبوع والشهر والسنة، كقوله: توفي يوم تاسع أو عاشر من شعبان سنة ست وعشرين وألف، أو يذكر الشهر والسنة، توفي في رمضان سنة ست وخمسين وألف، أو السنة فقط، كنحو قوله: توفي سنة ثلاث وسبعين وألف، أو قد يرد تاريخ الوفاة على وجه التقريب، كقوله: "ذكر لي بعضهم على وجه الظنّ أن وفاته كانت في حدود سنة خمس أو ستة وستين وألف". (المحبي، 1869، 114/1، 118). وكثيرًا ما يوضح المحبي كيفية الوفاة من موت طبيعي أو قتل، كقوله: وقتل وله من العمر سبع عشرة سنة أو قتل شهيدًا أو لعلة سببت له الوفاة، كنحو قوله: سبب موته مرض عقب غيظ حصل له، أو كنحو قوله: وجعل تتزايد به الأمراض حتى

توفي.(المحبي، 1869: 110/2، 151).

كما كان المحبي يبين أحيانًا الحالة التي مات بها المترجم له من حيث العمل والاشتغال، كنحو قوله: وتوفي وهو مدرس إحدى الثمان، أو ثم حج ورجع من طريق الشام أيضًا إلى الروم وأقام بها ولم يل منصبًا إلى أن مات، أو من حيث المكانة لدى الوجهاء والدولة، كنحو قوله: وولي آخر أمره تدريس البخاري. أو من حيث السفر والإقامة، كنحو قوله: فمات بمكة عقب فراغه من الحج.(المحبي،1869: 242/2، 259).

11.منزلة المترجم له ومكانته: وضّح المحبي ذلك من خلال ترجماته حيث ذكر مكانة المترجم له بين العامة والخاصة، كنحو قوله: وكان إذا ركب مشى في ركابه ما يقارب المائة رجل من حفدته ومريديه، وكان الناس عليه في إقبال زائد، ووضح أيضًا مكانة المترجم له بالدولة والعامة والخاصة، كنحو قوله: "وكان قوي النفس عظيم الهيبة، تخضع له الدولة ويقبلون شفاعته وهكذا.(المحبي،1869: 5،6/1).

12.وظائفه: يهتم بوظيفة المترجم لهم حيث ذكر وظيفة المترجم له، كنحو قوله: أخذ المدرسة الشامية الجوانية[21]،(المحبي، 1869: 16/2) وقوله: "ثم صار قاضيًا بطرابلس الشام، أو تتبع وظيفة المترجم له، نحو قوله: ثم صار كاتبًا بمحكمة الباب، ثم بعد مدة ولي رياستها، وكان قضاة القضاة يعتمدون عليه ويفوضون إليه أمورهم وما زال يزداد في الترقي حتى ولي نيابة الحكم بدمشق مرتين".(المحبي، 1869: 24/3).

13.أعماله: ويختلف ذلك تبعًا للتباين بالوظيفة، واختلاف نوعيات المترجم لهم، ويقتصر المحبي عادة على إثبات أهم الأعمال، كنحو قوله: وأشتغل بفنون العلوم.(المحبي، 1869: 34/4).

14.السجايا والصفات: ويعني به ما يختص بالمترجم له من شكل ذميم أو صورة حسنة أو ما يتصل بأخلاقه من صفة أو طبائعه، وما إلى ذلك، كنحو قوله: وهو أشهر موالي الروم في الذكاء، والفطنة، والنظم، والنثر بالجمل. (المحبي،1869: 9/4).

15.علاقات المحبي بالمترجم لهم: كنحو قوله: وكان بينه وبين والدي المرحوم مودة سالفة ومودة قديمة، فتقيد برعاية جانبه وسمعت والدي يقول وقد سئل عنه كأنما البلاغة تؤخذ عن لفظه والأدب ترنو عن لحظة، ونحو قوله وكان جرى بيننا مطارحات ومراسلات كثيرة.(المحبي، 1869: 3/ 45).

منهجه في التعامل مع مصادره[22]:

اعتمد المحبي على طائفة مختلفة من المصادر، وبين المحبي ذلك في مقدمة كتابه،(المحبي،1869: 4/1) وصنفها إلى مجموعات، المجموعة الأولى: المؤلفات التاريخية، أوردها في مقدمة كتابه، فكان من تلك كتاب ذيل النجم الغزي لطف السمر وقطف الثمر في الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، وكتاب طبقات الصوفية للمناوي وهو المعروف بالكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، وتاريخ الحسن البوريني ويقصد بذلك كتابه تراجم الأعيان في أبناء الزمان، وكتاب خبايا الزوايا، وريحان الألباب والكتابان للشهاب الخفاجي، وكتاب ذكرى حبيب للبديعي، ومنتزه العيون والألباب في بعض المتأخرين من أهل الآداب، لعبد البر الفيومي، ورتبه على حروف المعجم، وذيل محمد الشلي المكي وهو معروف باسم السنا الباهر بتكميل النور السافر عن أخبار القرن العاشر، وقد ذيل به على كتاب النور السافر في أخبار القرن العاشر للشيخ عبد القادر العيدروس، وعقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر للمؤلف الشلي نفسه وقد استخدمه المحبي في بعض التراجم ومنها ترجمه عبد العزيز الزمزمي.(المحبي،1869: 1/ 3، 4/3).

وكتاب أحمد الصفي بن أبي الرجال اليمني، مطلع البدور ومجمع البحور، وقد عرفه المحبي بأنه تاريخ حافل بسبع مجلدات وذكر فيه معظم علماء اليمن وأئمتها ورؤسائها وذكره في كتابه نفحه الريحانة فقال: "وله تاريخ الذي أبدع فيه وأغرب وأطرب بحسن تعبيراته جد ما أطرب، استكمل فيه الفروع والأصول، واستوفى الأجناس برمتها والأصول يأخذ الحق ويعطيه، ويرمي الغرض فلا يخطيه وهو إلى ما يريد أقرب إلى حبل الوريد".(المحبي، 1869: 220/1). ومنها أيضًا كتاب سلافة العصر في شعراء أهل العصر لابن معصوم[23] وهو كتاب آخر ذيل على ريحانة الألباب للخفاجي، وكتاب ذيل الشقائق النعمانية وهو باللغة التركية، ومؤلفها هو ابن نوعي[24]، وكذلك من بين المصادر الرئيسية للمحبي تاريخ مدين القوصوني[25] المصري، الذي ذكر فيه تراجم كبار العلماء من أهل القاهرة. ويبدو أن المحبي لم يذكر إلا الأساسي من المصادر أي ذلك الذي اعتمد فيه على عدد كبير من التراجم، ويظهر هذا واضحًا للمتمعن في قراءة تراجمه، حيث يشير المحبي في عديد منها إلى مصدر أو مصادر لم يأت على ذكرها في مقدمته.

21.المدرسة الشامية الجوانية: هي مدرسة تقع في دمشق أنشأها كافور المعظمي، وهي من المدارس الحنفية، من مدرسيها مجد الدين بن فخر الدين موسى للمزيد. أنظر: النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص413.

22. أعتمد المحبي في كتاباته التاريخية على عدد كبير من المصادر، ذكرها في مقدمة كتابه خلاصة الاثر للمزيد أنظر: المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص4 وما تلاها.

23.هو علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني الشهير بأبن المعصوم، ولد بمكة، وله مجموعة من المؤلفات أبرزها نغمة الأغاني وكتاب "سلوت الغريب". للمزيد أنظر: المحبي، نفحة الريحانة،ج4، ص187.

24.هو محمد بن يحيى نوعي زاده ويلقب بعطائي للمزيد عنه أنظر: البوريني، الأعيان، ج1، ص74.

25.هو مدين بن عبد الرحمن القوصي، كان رئيسا للأطباء في مصر وله باع في الأدب والتاريخ، للمزيد أنظر: المحبي، خلاصة الأثر،ج4، ص333، ص334.

المجموعة الثانية: المجاميع، وهي مجموعات مدونة من الأخبار والأشعار جمعها أصحابها من خلال قراءاتهم المتنوعة: مثل مجموعة الأديب عبد الكريم الطيراني، والمجموعة الثالثة: المكاتبات، وكان المحبي يراسل أصحابه وتحتوي عفويًا على معلومات إخبارية، والمجموعة الرابعة: المشيخات، وهي مدونات ثبت فيها بعض العلماء أسماء مشايخهم الذين أخذوا منهم، والمجموعة الخامسة: الرحلات، اعتمد على مشاهداته من خلال رحلاته التي قام بها، ورحلات معاصريه وما سجلوه من معلومات وملاحظات ومشاهدات خلال رحلاتهم بين بلاد الشام والبلاد الأخرى، أو ما أخذه عن هؤلاء شفويًا مباشرة من معاصريه عن طريق الرواية، كديوان شعره، وتوجد من هذا الديوان نسخة خطية في دار الكتب المصرية، برقم 404 شعر تيمور.(المحبي،1869: 18/1).

وقد أخذ المحبي عما سبقوه وكان يذكر الأسناد إلى المصدر مع ذكر المؤلف واسم الكتاب، كنحو قوله: "... وله ترجمة طويلة في الكواكب السائرة للنجم الغزي".(المحبي، 1869: 324/1)، وأحيانًا الأسناد بذكر اسم المؤلف فقط كنحو قوله: "وذكره الشهاب في كتابيه".(المحبي، 1869: 1/2). ونحو قوله: "وذكر النجم الغزي".(المحبي، 1869: 52/2).

الخاتمة

المحبي عالم وأديب عربي ينتمي لعائلة اهتمت بالعلم والأدب والفقه وعلم المعاني والعلوم الأخرى، وإنتاجه العلمي دليل على ذلك، وكثرت شيوخه وتنوعهم أدت إلى صقل شخصيته وامتزجت في فكره ثقافتهم المختلفة، وساعدت رحلاته في طلب العلم إلى توسيع ثقافته، وأصبح يتمتع بذهنية ذكية، جعلته يجلس لمجالس العلم وهو ابن السادس عشر من عمره.

يجمع كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر بين الحوادث التاريخية والتراجم لمعاصريه، اعتمد المحبي فيه على طائفة مختلفة من المصادر، وجاء الكتاب مستكملًا لما حققه سابقوه من كتب التراجم التي تعنى بالنطاق المحدود الزمن أو تعنى بطبقة معينة، فنهج بذلك نهج كلًا من ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/ 1449م)، والسخاوي(902هـ/1497م).

أعتمد المحبي في كتابه على مجموعة من المصادر المكتوبة والشفوية وقد حرص على ذكرها وكان حريصًا على ذكر اسم المؤلف واسم الكتاب كما استخدم صيغ مختلفة للإشارة لهذه المصادر.

اتبع المحبي في ترجماته للأعيان أسلوبه الخاص به، وكان دقيقًا جدًا في انتقاء الألفاظ ليحافظ على المعنى، وبين ذلك في تراجمه، وقد أدخل الشعر مع النثر.

اختار المحبي الأساليب البلاغية، وتأثر أسلوبه بالقرآن الكريم، وخرج المحبي عن مضمون الشمولية الواسعة للتراجم، إلى حصرها في فترة محدودة من الزمن وهي القريبة منهم زمنيًا، وجعلها في طبقة واحدة.

ترجم للشخصيات التي توفيت ما بين(1001–1100هـ/1592–1686م). رتب فيه ترجماته على حرف المعجم ليسهل على القارئ الرجوع إليها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

البوريني، الحسن بن محمد البوريني(1024هـ/1615م). تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق صلاح الدين منجد، (2ج)، د ط، دمشق، سوريا، المجمع العلمي العربي.(1959م).

الحموي، ياقوت عبدالله الرومي الحموي شهاب الدين (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت(1995م).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الأشبيلي (ت808هـ/1405م). المقدمة، تحقيق: كاترمير عن طبعة باريس، بيروت. مكتبة لبنان.(1992م).

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان أبي العباس شمس الدين(ت681هـ/1282م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (7ج)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت. دار صادر.(1994م).

خليفة، حاجي، مصطفى بن عبدالله (ت1067هـ/1725م). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (6ج). بيروت، لبنان؛ دار الفكر.(1997م).

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ/1347م). سير اعلام النبلاء (2ج). بيروت. لبنان. دار الفكر. (1997م).

ابن طولون، محمد بن طولون الصالحي(ت953هـ/1546م). القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط2، دمشق، مجمع اللغة العربية.(د ت).

الغزي، نجم الدين الغزي محمد بن محمد الغزي العامري، الشافعي (ت1061هـ/1651م). الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة. (3ج). ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.(1997م).

لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر.(2ج)، تحقيق محمود الشيخ، دمشق، سوريا، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي.(1975).

القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي(ت1019هـ/1610م). أخبار الدول وآثار الأول، (3ج). ط1. بيروت. لبنان. عالم الكتب.(1992م).

القلقشندي، أبي العباس أحمد القلقشندي. صبح الأعشى في صناعة الأنشاء.(15ج)، القاهرة، المكتبة المصرية. (1922م).

المحبي، محمد بن فضل الله المحبي (ت111هـ/1699م). خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. (4ج)، دمشق، سوريا.(1869م).

نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق عبد الفتاح الحلو، 5ج.(1969م).

المرادي، محمد خليل بن علي المرادي(ت1206هـ/1791م). سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر(4ج). بيروت. دار البشائر.(1988م).

النعيمي،عبد القادر محمد النعيمي الدمشقي(ت978هـ1570م). الدارس في المدارس. (2ج). ط1. أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين. بيروت. لبنان. دار الكتاب العلمية.(1990م)

بيان، فاضل، 2005م). بلاد الشام في الإحكام السلطانية الواردة في الدفاتر المهمة(951-973هـ/ 1544-1566م). (3ج)، الجامعة الأردنية، عمان.

رافق، عبد الكريم، (1974م).العرب والعثمانيون(1516-1916م)، دمشق، سوريا.

صابان، سهيل(2000م)،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مكتبة الملك فهد.

كارل، بروكلمان(1950م). ذيل تاريخ الأدب العربي، تعريب نبيه أمين ومنير البعلبكي، (5ج)، بيروت، لبنان، مكتبة الأدب للنشر والتوزيع.

كحالة، عمر رضا.(1993م). معجم المؤلفين،(4ج). ط1. دمشق. سوريا. مؤسسة الرسالة.

References

The Holy Quran

AL-boreani, Alhasn Bin Mohammed AL-boreani (d1024AH\1615AD). 1959 Tarajam Al'aina Mn Abna Alzman, (2c),edited by: Salah Aldiyn Manajid, Damascus, Syria, arab Academic Collector.

Al-Ghazzi, Najm Al-Din Al-Ghazi Muhammad ibn Muhammad al-Ghazi al-'Amri, al-Shafi'i (d. 1061 AH / 1651 AD). (1997).AL-koakeb ALsaerah (3c). 1Edition, Beirut, Scientific Books House.

ALhumwi,Yagut Eabd Allah Alrumiu Alhumwi Shihab Aldiyn (626 AH \1615AD), 1995 Maejim Albuldan,Bbeirut,.

AL-mohbi, Mohammed bin Fadlallah AL-mohbi (d. 111 AH /1699 AD). (1869). Kulaset ALather Fi 'Aean A L krn ALhade Asher. (4c), Damascus, Syria.

Al-Nuaimi, Abdul Qader Mohammed Al-Nuaimi Damascus (d.978 AH 1570 AD) ,(1990). Adares fe Tarek ALmadares,(2c). (1st), Prepared by Ibrahim Shams ad-Din. Beirut. Scientific Book House

Al-Qalqashandi: Abu Al-Ahmad Ahmad Al-Qalqashandi, Sobh al-Asha fe snat ALansha. (1922). (15C), Cairo, Egyptian Library

Al-Qaramani, Ahmad ibn Yusuf ibn Ahmad al-Dimashqi (d.1019 AH /1610 CE). Akbare ALoall & Athare ALoall, (3c). 1Edition.Beirut. Lebanon. The World of Books

ALthabi, Shams al-Din Muhammad bin Ahmed bin Othman(d.748 AH /1347AD). (1997). Cear A'lam Alnobla',(20 c). Beirut. Lebanon. House of thought.

Ibn kaldon, Eabd AL-Rhman Bin Mohammed Bin kaldon AL-hadrme AL-ashbele(808AH\1505ad), (1992). ALmoqadmeh, edited by: Parese Floor copy, Beirut, Lebanon library.

Ibn Khalkan, Ahmad Bin Mohammed Bin Abi Bker Bin Khalkan Abi AL-abase Shamse Aldiyn(681AH\1282AD) (1994) Wafiat A'laina Anba Azman, Alzman, Investigation: Ihsan Abbas, Beirut. Dar Sadir.

Ibn Tulun, Muhammad ibn Tulun al-Salhi (d.953 AH/1546 AD). Alklad ALjoahreh fe tarek Al- Salhiya, Achieved by Muhammad Ahmad Dahman, Damascus, Arabic Language Complex.

Khalifa, Haji, Mustafa bin Abdullah(d. 1067 AH /1725 AD). (1997). Kshef ALtnoon An Sami Alktb Wlfnon,(6 c). Beirut, Lebanon; Dar Al Fikr.

ltfe ALsamer & Ktfe ALthmer Mn Trajm 'Aean ALtabke 'ALola Mn ALkrne ALhade Asher,(2c) .(1975)., the investigation of Mahmoud Sheikh, Damascus, Syria,2Edition publications of the Ministry of Culture and National Guidance

Muradi, Mohammed Khalil bin Ali Moradi (d.1206 AH \1791 AD). (1988). Slke Al-Durar Fi 'Aean A L krn ALhade ALhade Asher (4 c). Beirut. Dar Al Bashaer.

Nfht of Rihanna & Rshet Tla ALhanh, achieve Abdel Fattah Hilo, (5c).(1969).

Arabic References in English:

Bean, Fadel, Bilald Al-Sham Fi ALahkame ALsoltaneh Aloaredah Fi dafater ALmohma(973 AH/1544-1566AD),(3C), ,(2005).University of Jordan, Amman.

Carl, Brookman (1950). Thill Tarek Aladab Al- arabe, literature, the Arabization of Nabih Amin and Muner Baalbaki, (5C), Beirut, Lebanon, Literature Library for publication and distribution..

Kahaleh, Omar Reza. (1993). Majem ALmualfin, (4c).1Edition. Damascus. Syria. Foundation message.

Rafek, Abdul Karim, (1974). Arab and Ottomans (1516-1916), Damascus, Syria.

Saban, Suhail (2000), ALmojam ALmos'ae LLmostlahat ALottmania ALtarekeh, Riyadh, King Fahd Library.